وسائل الإعلام
وصناعة العنف والتحريض

رؤية في التوظيف والمعالجة

د. كامل القيّم

هوية الكتاب

اسم الكتاب: وسائل الإعلام وصناعة العنف والتحريض

أعداد: أ.د. كامل القيّم

الأشراف : الشيخ علي عبد زيد هاشم القرعاوي

اصدار: مركز بينة للأمن الفكري والثقافي

التصميم والإخراج الفني: م. زهير محمد حسين الجبوري

الطبع والنشر: دار الوارث للطباعة والنشر

عدد النسخ:

الطبعة: الأولى ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٥م

العنوان : العراق - كربلاء المقدسة - شارع قيادة عمليات كربلاء - مجاور عطور المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب:

شكّلت استخداماتُ الَّتصاعد الرَّقمّي وتنوُّعُ المنصَّات في التّفاعلات اليومَّية للأفراد بُعداً جديداً في خرائط التَّأثير على الرَّأيِّ العامِّ، وعلى مزاج السُّلم الاهلي وصناعة المواقف إزاء الأزمات، فضلاً عن عولمة بعض القضايا المتعلَّقة بالهوَّيات الثَّقافية والدَّينيّة وبالاتّجاهات الثّقافيةِ والمذهبيَّة والعُرقَّية.

وعلى مر التَّاريخ شكَّلَ الخطابُ التَّحريضُّي والدَّعائيّ عُنصراً محورّياً في الدَّفع باتَّجاهات تثوير الجماعات ورفع انزيماتهم للمناصرة في ميادين الصَّراعات، واتَّخذت تلك الخطابات وسائل متعددة وبحسب المراحل التَّقنية للتَّعبير والتَّسويق، فتمرحلت من الخطب الشَّفاهَّية، ومن ثُمَّ الكتب المطبوعة والصَّحف، وبعدها الاذاعات الموجَّهة والتَّلفاز، وصولاً الى تقنيَّات الذَّكاء الاصطناعيَّ وتطويعه باتَّجاه بناء خطاب يستمدُّ تأثيره من نوعيَّة الصُّور والكلمات، التَّي تؤجج العواطف، وترفع من حالات

الحماس والاندفاع نحو الآخرأ وبالطَّبع، يميل الانسان إلى أن يدخل موقف الدَّفاع بأشكاله (النَّفسي، العرقيَّ، الوطنيّ، الديني) ايّ كان، من خلال الوقود الَّذي يستمدُّه من الخطاب - وبالأخصَّ الإعلاميَّ والرّقميَّ- بعدما اتسع وأصبح لازمَّة يومية للتَّعبير والتَّواصل بين الأتباع من جهة، وبين المعارضين من جهة أخرى.

وعلى الرَّغم من أنَّ الأدبيات الإعلاميَّة تُشير إلى مفاهيم معاكسة لهذا المنحى، ورفعت شعار وضوابط منذُ بزوغ النَّشر الأوسع (عبر الصُّحف)،ومن ثُمَّ شيوع الأَتصال الجماهيريَّ -الإعلام- مع بديات القرن العشرين، تحت مسمّيات (الضَّوابط المهنيَّة والأخلاقيَّة والحياديَّة والآداب العامَّة وغيرها)، وكان الإعلام التَّقليديَّ يسيرُ بتلك الخُطى (المهنية) بشكل نسبيّ، ولا يخلو من الإيحائيَّة في عبور وتخّطي حاجز الضَّوابط والمدارس، وخاصَّة في الأزمات والحروب، وكانت تلك الضَّوابط قد سارت في الإعلام التَّقليديَّ لاعتبارات عديدة، منها:

إنَّ كبار المؤسَّسات ووكالات الأنباء كانت محكومة بنوع من الرَّقابة الثَّقافيَّة الاجتماعيَّة وأنَّ تراكم الخبرة واعتماديَّة المجتمعات على قوالب تحريرها وإنتاجها الصحفيَّ والاستقصائيَّ قد أوجد فُسحة جداً بسيطة للخروج من عباءة التَّقاليد والقيم.

عمليَّات التَّعبير والتَّحرير الإعلاميَّ في الأغلب الأعمَّ كانت تُحرر ورقّياً، وتعتمد محوّرياً على الجُمل والكلمات والتَّقارير المنشوَّرة لأغراض النَّشر المتعدَّد، أي أنَّها تكون خاضَّعة للتَّفكير والسَّرد الواقعي وتراكم معلومات وعمق تاريخيَّ وخبريَّ في الأغلب، وتكون عندئذ قابلة للمقارنة والتَّشكيك، فتبتعد كثيراً عن التَّهويل وعدم التَّوازن والتَّضليل الكليَّ (الدَّعائي).

هُناك تقاليد في العمل الصَّحفيَّ وبالأخصَّ الحياديَّة والمهنيَّة – وان كانت افتراضيَّة- لكنها موجودة بالفعل، وذلك للمؤسَّسات التي كانت تُديرها، وهي كبار الوكالات والشَّبكات والصَّحف، مثل (وكالة الأسوشيتد برس، واليونايتد برس، وتاس، وهافاس وغيرها) كذلك الاذاعات كبرلين، ولندن،

ومونت كارلو، وصوت أمريكا، وصوت العرب، والتَّي تمتاز بتلقَّي مليوني على مستوى العالم.

طبيعة الاحداث والظَّواهر كانت الى حدّ ما شحيحة وبعيدة مكانّيا، وعمليَّة التَّعبير عنها والحياد منها او عدم الحياد لا يشكَّل فرقاً بالنَّسبة للجمهور الدَّوليّ أو غير المعنيَّ، لذلك فإنَّها اتسمت بعدم التَّركيز، وهناك دراسات تشير إلى أنَّ هناك فروقات بسيطة في جوهر المضمون أو الأفكار أو الأخبار التَّي تم تناوُلُها وتحريرها باعتبارها الأساسيَّة بين مثلاً (صوت أمريكا ولندن) أو وكالة تاس السُّوفيتيَّة واليُونايتد برس الأمريكيَّة) وبالتَّحديد في الاوقات الطَّبيعية، لكن يرتفع الفرق والتَّركيز الدَّعائيّ في الأزمات والحروب - كفترة الحرب الباردة وفيتنام وأزمة الصَّواريخ الكوبيَّة - نعم، هناك فروقات، لكن ليست جوهريَّة تطيح بقيم واخلاقيَّات بشكل مستدام.

اليوم نشهد التَّراجع الكبير للإعلام التَّقليدي، وتوسعاً وانتشاراً للاتَّصال الرَّقميّ أوجد تحدَّياً حقيقيّاً ليس على مستوى

المزاحمة في الاستحواذ على السرعة والكيفيَّة والتّقانة في التّناول، بل امتدَّ وبشكَّل واضح وكبير للاستحواذ على المتلقَّين بشكل غير مسبوق، ويكاد يكون جمهور الفضائيات والصُّحف قد تلاشي ورويداً رويداً، قد تعلن المجتمعات القطيعة معه باعتباره ادوات (إرغامية) غير طيعة، وغدت ادوات لكبار السَّياسّيين وصنَّاع القرار الرَّسميَّ والدَّولي، بالقياس، لاستخدامات التَّواصل الرَّقميّ ومَّميزاتها الهائلة في منح حرَّيَّة الكتابة والتَّعبير وعبور الخطوط الحمر والتخفي وغيرها من خصائص هذا النَّمط.

ومع انتشار موجات التَّشدُّد الفكريّ الَّذي انتجته قوى تنظيم القاعدة - والَّذي استطاع أن ينحت في سلوكيّات وأفكار الشباب المسلم، بذور الاحتقان والتَّطرُّف الفكريّ والدَّيني والتَّشددُّ في التَّفسير والخطاب الذَّي تحوَّل الى عنف دوليّ تجاه الاطياف والمذاهب والمجتمعات الأخرى بكراهيَّة وتمايز شديد العنف والرَّاديكاليَّة السّلوكيّة - عندها كانت وسائلُ الإعلام، ومن ثُمَّ التواصل الاجتماعيّ، قد لعبت دوراً ليس خفيّاً في إشاعة نمط العنف بالكلمات والصَّور وأدوات الاتصال الرَّقميَّة

الأخرى، وتحوَّل الأمر إلى تقنيَّات فكرَّية وتواصليّة، للمزيد من التّحريض وعمليَّات غسيل الدَّماغ وإدخال - الرّاديكاليّة فكرية الدّينيّة المتشدَّدة- في عقول الشباب والمراهقين، وخاصَّة لأنصاف المتعلمين! وبذلك تحَّول الميديا والتَّواصل الرَّقميُّ إلى أداة صناعة شخصيَّات مُقلقة، ثمَّ خطرة ثم مجرمة، وبحسب مراحل وقوى الضَّخ التي غذَّتها مدارس تنظيمات القاعدة، ثمَّ داعش وللأسف استطاعت ان تؤسَّس مسارات تحريضيَّة وعنفاً إعلامياً ورقمياً، لازال يناغي ويستميل الشباب ويزع فيهم الكراهية والتَّمايز والتَّطرف.

يمثَّل الكتاب جملة من المفاهيم التَّي قد تمرُّ مروراً عابراً نطلقها أو نلمسها في اتون حرب الميديا والسَّياسة والهويَّة والقيم، لكنَّنا في هذا الكتاب نستوقف بعض تلك المفاهيم لنحلل مجريات ما يحصل من دفق عنفي للمجتمعات، ومنها في مجتمعنا العراقي.

فقد بدأنا منهجيا (بتأريخَّية صناعة العنف في الحضارات القديمة) ، فهو كما ذكرنا موجود مع الإنسان باعتباره كائناً

- يقود وينقاد - والإثنان يحتاجان إلى وقود وكلمات وحماس، وُربَّما تضليل وتهويل، وأحيانا، اتخذ بعض ملوك العراق القديم العنف كأداة للرَّدع وتصفية السُّراق والمناهضين وأصحاب الخروج عن الطَّاعة الملكية، وربَّما مصطلح العنف الاجرائي أو الميداني أو الحركي(١)(*)، كمسّميات ثقافيَّة كانت ولا زالت قائمة على وقع (ردع الآخر) أي أخر، ويأتي هنا بحسب من تمارس رسالة الرَّدع، فتارة للرَّعية وتارة للأعداء، وتارة لضرب الخصوم عن طريق الاغتيال الثَّقافيَّ أو السُّلوكي، كما نراه في التَّفجيرات والأعمال الانتحاريّة الَّتي سادت مدن العراق ابان سنوات القاعدة وداعش السَّوداء، ثم يتطرق الكتاب إلى مفهوم (العنف الإعلامي) باعتباره منتجاً محوريّاً للتَّأثير، وما يخرج عن قوالبه يعد أداة تأثير كبرى على المتلقَّين، وبالتراكم قد يُصنع أو يُغذى بعناصر مساعدة سلوكَّيات إرهابيَّة أو عنفيّة.

يتطرَّق الكتابُ إلى (التحريض الإعلاميّ وأنواعه) مركَّزاً على التَّحريض غير المباشر باعتباره الأخطر على الرَّأي العام

(*) ينظر في مفهوم العنف الاجرائي في متن الكتاب لطفا. ١

والجماهير السَّاخنة أو القلقة كما يشير إلى تداخل ومجاورة بعض المصطلحات النَّفسيَّة الإعلاميّة والتّي تقترب من البعد التَّأثيري، ولكنها تبتعد قليلاً من حيث التَّقنيَّات والاستهداف والمخرجات التَّأثيريَّة وظروف الاتصال.

كما ويشير الكتاب إلى بيئة التَّحريض الإعلاميّ وعوامل مساعدة تنشّطه في المجتمع، كالخطاب السَّياسيَّ، ووسائل الإعلام، والتَّواصل الاجتماعيّ، والجهل الفكريّ، الذَّي يستحوذ على بعض النَّاشرين الرَّقميَّين المراهقين في استهداف مناطق أو قوى أو شخصيَّات، من شأنها أن تثير الفتنة وعدم التَّماسك الاجتماعيّ ويتميَّزُ العراق، وبالنَّظر لطبيعة المتغيرَّات السَّياسيَّة الَّتي حصلت والاستهداف الدَّموي اليوميّ لتنظيمات القاعدة وداعش، كانت هناك معامل وبيئات حاضنة ومساعدة، منها دوليَّة ومنها إقليميَّة ومحلَّيّة، عملت على صناعة دوآمة للتّحريض وصناعة العنف في الخطاب اليوميّ للعراقيَّين.

وأشار الكتاب الى جملة من التَّشريعات التَّي تُجرم العنف

والتَّحريض بالشَّكل الشَّخصي (المباشر) الايحائي عبر وسائل اخرى، واستعرض الباحث عدداً من الضَّوابط والقوانين التي عملت وتعمل في العراق لهذا المحور.

كما تمَّ عرض نموذج تحليليّ للكلمات والمفاهيم التَّي تساق في وسائل الإعلام باعتبارها جملاً أو مضامين محرّضة، وتخلّق عنفاً نسبيّاً أو كلّيّاً لدى المتلقّين، إذ قسّم الدَّراسة الى محاور ستة تلخَّصت في (المحور السَّياسيّ، والمدنيّ، والحوادث، الامني، الدَّولة، الفكري) وقام الباحث بعرض جدول تلخيصي بنماذج من بعض السَّرديّات العنفيَّة التي أنتجتها وسائل الإعلام العراقيَّة، وتعدُّ وفق التَّعريف الإجرائي للدَّراسة فعلا أو جرماً عنفياً محرَّضا على الإخلال بالسَّلم الأهليّ والأمن الاجتماعيَّ والفكريَّ.

وخلص الباحث إلى اختزال جملة من المشكلات الإعلاميَّة التّي تواجه الحكومة والقوَّات الامنيّة بشكل عامّ في مسار الخطاب الإعلاميّ والاتَّصال، وانتهى الباحث إلى صياغة

جملة التَّوصيات التي قد تُقَّلل أو تعمل على مواجهة موجات التَّحريض واستخدام المنصَّات الإعلاميةَّ والرَّقميَّة باعتبارها وسائل تسويقيَّة للقوى أو الشَّخصيَّات، التَّي ترى في التَّحريض مادَّة انتخابيَّة أو استمالة عاطفيَّة من المشاهدين أو المستمعين أو مستهلكي المنصَّات الرَّقميَّة.

يُعدُّ الكتاب خطوة أولى لوضع بعض المفاهيم والتحليلات الأولية لخطاب هادر في متغيَّرات متعدَّدة، في ظلَّ انتخابات ووجود القاعدة وداعش والأزمات الإقليميَّة والدَّوليَّة، نتمنَّى أن يكون مفتاحاً علمياً مفيداً للدّارسين والباحثين في مجال الإعلام والأمن والسياسة... والله الموفق.

المؤلف

آذار ٢٠٢٥

المبحث الأول

الأُسس التاريخية والنفسية لصناعة العنف

لم يكن الإرهاب والعنف والتحريض طارئاً جديداً في قواميس (امبيرقية العمل الإعلامي والدعائي)[1]، بل ربما كان ولا يزال فتحاً جديداً لقصف العقول وإنتاج المتغيرات لصالح نفوذ من يملك أو يتحكم بالإعلام، بالحنكة والمهارة التي تتطلّبها آليات قصف العقول أو تطويعها، لذا لم يكن عفوياً أن تنشئ بعض الدول المتقدمة (مختبرات، ومراكز أبحاث، ومعامل تطوير، ومعاهد رصد) لترجمة وإستراتيجية علاقاتها الخارجية ومصالحها الثقافية والاقتصادية المجتمعية من جهة، ومن جهة أخرى لتمرير المزيد من الرموز والمؤثرات إلى الخارج .

١ امبيرقية العمل الإعلامي : نقصد بالمصطلح العمل الميداني والتخطيطي لمسارح التغيير التي يعمل في ظلها الإعلام وبالخصوص صناعة الرأي العام وتشكيله من خلال بناء الاستطلاعات والعمل بنتائجها، كما يشكل كل الجهود الميدانية والمختبرية التي تقوم بها المؤسسات الإعلامية لإعادة صناعات التفكير وخلق الصور النمطية او تغيرها اتجاه مصدر الوسيلة ومن يتحكم بها (الباحث).

ووسائل الإعلام تلعب أدواراً وتأثيرات متراكمة ومتناغمة في تشكيل الاتجاهات أو السلوكيات، وكان التحريض على السلوك العنفي عبر الأنشطة الاتصالية المختلفة، يحمل بين طياته الكثير من الخبرات وتراكم الأداء، فقد أستخدم بكثرة في الصراعات بين الحضارات القديمة وأمتد ليغدو أحد المنصات التي تطلق بناء الصورة والاستمالة والتحريض، وتصدير)الإقناع (ضد الحكومات والأنظمة والأيديولوجيات، بل واستخدم العنف في أحيان كثيرة ليس بصفته الخارجية، بل أحد الجرعات المنشطة للأنظمة الدكتاتورية والمستبدة داخلياً (نحو شعوبها).

وفي ظل تراكم الخبرات وتصاعد الانفتاح على استخدام الفضاء كمجال تنافسي لسريان الرسائل، كانت بعض القنوات الإعلامية قد عملت لها مجموعة من المنظومات _ بقصد أو دون قصد _ لرعاية أو تبني مفاهيم أشغلت وتشغل الرأي العام المحلي والدولي، من ضمنها التهويل والضغط النفسي والتواتر في الضخ الإعلامي، وكان العنف (bang) أحد الظواهر التي عصفت وتعصف بالعالم أجمع، سواء من خلال (الفعل

الحركي الإجرائي)[1]، أم من خلال كلمات ومفاهيم وصف العنف خبرياً أو مقالياً أو صورياً أو الكترونياً، ويبدو أن وسائل الإعلام بشكل عام اتخذته مادة دسمة وميداناً جديد لفتح أبواب الهيبة وفورية الأثر، عبر ترويجها لمفاهيم وسلوكيات ترويعيه وتحريضية، واستمالة لتطبيق أو تأصيل (رمزية ما) تدخل ضمن قاموس العنف والتحريض.

وتتجلى علاقة الإرهاب، والعنف، والتحريض بوسائل التحريك والدعاية منذ فجر الحضارات الأولى، إذ رافق معظم الأنشطة والحملات العسكرية، وخلافات وإرادات حاشية الأباطرة والقادة، ورجال الدين، والتجار، ومن ثم (قادة الرأي الاجتماعي) بفنون الإشاعة وإفشاء الأفعال الافتراضية أو الأسطورية وكان استخدام (الرعب) أو التلويح به، أو إشاعته إحدى أهم معالم ما تركته موروثات الحضارات القديمة من قبيل التماثيل والأشكال والصروح الكبرى، التي لا تخلو من

١ هنا يأتي العنف الإجرائي أو الحركي (الميداني) بما يتعلق بكل صنوف الإرهاب عن طريق استخدام الساحات المدنية كأرضية للفعل كالتفجيرات، والاغتيالات، وخلق الفوضى في الساحات العامة، واستخدام السلاح في الأروقة العامة، والمظاهر المسلحة. واطلاق الشعارات والتهديدات المباشرة إلى جهة محددة أو مجهولة .

سمه (الأنا الكاسحة) مقابل الآخر الضعيف.

فيذكر لنا التاريخ على سبيل المثال أن العراقيين القدماء كانوا يستخدمون البُعد النفسي في الإرهاب (من عمل رهبة) وكجزء من رسائل الحرب النفسية، تجاه الخصوم من خلال مثلاً (الاستعراضات العسكرية الكبرى، وعرض الأسلحة الفاتكة)، وهذا يسري قبل بدء المعارك، وأثناء اقتحام المدن، وهو جزء من رسالة القادة إلى الأعداء بضخامة وقوة وإمكانية الجيوش التي تثير الرعب والفزع لدى مقاومي الجيش، وكان سرجون الأكدى - مؤسس الإمبراطورية الأكدية - جعل من الاستعراضات العسكرية وإقامة المسلات والنُصب، وإرسال الأسرى واستعراضهم في العاصمة، جزءً أساسياً من مهاراته في بث الرعب في الآخر. كذلك استخدم العراقيون القدماء استراتيجية الرعب، والتي في ضوئها يمكن أن ترسل إلى الآخر رسائل مفادها.. (استحالة الفتك بي أو الانتصار عليّ)، بالشكل الذي أصبح بمجرد وجود الجيش الآشوري في منطقة أو مدينة معينة أو على مقربة منها كافياً لإسقاطها دون قتال، وهذا ما

مكّنهم من تحقيق الأمن في بلادهم لمدة طويلة.[١]

كما أن حالة الإرهاب والتصفية الجسدية كانت لها مكانة وصدى في عقيلة المنظومة الأمنية لدى العراقيين القدماء، فقد كان العمل على التصفية الجسدية داخل أو خارج المعركة أو العمل على إثارة الضغط النفسي على متخذي القرار، وبالمقابل تشير بعض اللقى الطينية في مدينة (ماري) إلى تحذير الملك الآشوري من التجوال قبل القبض على بعض المجرمين وأفراد العصابات، وتشير أخرى إلى تشديد الحراسة على الملك وعدم السماح له بالتجوال بمفرده، كما تشير اللُّقى الطينية إلى وجود جهاز خاص لدى الآشوريين لصناعة الإشاعات ونشرها، ويدعى من يقومون بهذا العمل (Lv-MesTukkim)[٢].

ومع ظهور بوادر نشر الأفكار، وشيوع الطباعة، ومن ثم الدخول في ميدان النشر الصحفي في أوروبا، كانت

١ ينظر تفصيلًا: د. حميدة سميسم: الحرب النفسية (القاهرة: الدار الثقافية للنشر ، ٢٠٠٤) ص ٥٢-٦٠ .

٢ ينظر: جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين (بغداد وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٤) ص ٢٨٥.

الاستخدامات النفسية في التأثير تجري على قدم وساق، ومن ثم تصاعدت مع ظهور الإذاعة والتطور، والانتشار الذي حصل في إصدار وتوزيع المواد المطبوعة، وبذلك دخل الرأي العام في معترك جديد من أدوات التوجيه والتحكم النفسي والاجتماعي، عبر آليات ساحرة جديدة تزامنت مع خوض (الحربين الكونيتين) ودخول فنون الدعاية من أوسع أبوابها، سواء أكانت من قبل الألمان أو الروس أو الولايات المتحدة.

وقد أيقن الجميع أهمية السطوة الإعلامية المتمثلة في الذراع النفسي والانفعالي، على أمل إيجاد تغييرات سلوكية وعاطفية تلعب دوراً في تغيير مسار الجبهات الداخلية من جهة، وتأصيل (الاندفاعية) لخوض القتال الميداني للجنود والقادة من جهة أخرى، وقد صيغت نظريات عدة في مجال التأثيرات[1] الفورية

١ كنظرية الرصاصة السحرية أو الحقنة تحت الجلد، ونظرية (الخطوتين) قادة الرأي ، ثم قدمت الدراسات والأبحاث النفسية والاجتماعية مداخل جديدة لنظريات التأثير أهمها: الفجوة المعرفية، والتغيير الثقافي، والفروق الفردية، والاستخدامات والاشباعات ، ونظرية وضع الاجندة (الأولويات الإعلامية)، ونظرية الغرس الثقافي وتنافر الافكار ....الخ للمزيد حول النظريات اعلاه راجع :

١- د.محمد عبد الحميد: نظريات الاعلام واتجاهات التغيير (القاهرة: عالم الكتب ،١٩٩٧):ص ٢١٩

٢- د.صالح ابو اصبع :الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة(عمان : دار ادم للدراسات، ١٩٥٩) : ص٧٨

٣- كامل القيم :بناء الاتصال ومشكلات التعرض الاتصالي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية

لهذا المنحى، ومن ثم التغييرات عن طريق التأثير متعدد الخطوات، وبعد ذلك توسعت نظريات التأثير الإتصالي والإعلامي في إيجاد مناحٍ مختلفة و(مشروعيات أخلاقية) ودولية وعلمية في الدخول من الباب (الناعم) للتحكّم والتصنيع لإتجاهات الرأي العام (كبديل لفوهات المدفعية) ومظلات سلاح الرعب.

وحينما دخلت تكنولوجيا الإتصال والإعلام الاستخدام الرقمي من أبواب واسعة ومشرعة كانت أذرع الإعلام وقوى التحكم عن بُعد، تطيل من مساحاتها وتعمق من تسخيرها للحروب القادمة مع الآخر. والآخر قد يكون عنصراً مفترضاً للتنافس أو للجدال أو للتصادم، على أساس أن الصراع لابد منه للاستمرار واثبات (الأنا). وفي خضم ذلك علينا أن نشير ونحدد أن العمل المتعلق بالإرهاب أو وسائل الإعلام قد يتفرع إلى اصطلاحات ربما تتوحد وتأخذ طابعاً متداخلاً، من حيث طبيعة أدواتها أو أهدافها، وبالتالي نحن أمام حزمة من الأنشطة الاتصالية والإعلامية التي تصب بشكل أو بآخر من باب الأفعال

الآداب ،قسم الاعلام ٢٠٠٠، ص ص ٧٨-٨٨

والتصدير الترميزي وتصب (في رحبة الإرهاب الإعلامي)[1] .

وفي ظل تراكم الخبرات وتصاعد الانفتاح على استخدام الفضاء كمجال تنافسي لسريان الرسائل كانت بعض القنوات الإعلامية قد عملت على مجموعة من المنظومات _ بقصد أو دون قصد _ لرعاية أو تبني مفاهيم أشغلت وتشغل الرأي العام المحلي والدولي، من ضمنها التهويل والضغط النفسي والتواتر في الضخ الإعلامي، وكان العنف أحد الظواهر التي عصفت وتعصف بالعالم، سواء من خلال الفعل الحركي الإجرائي[2]، أو من خلال كلمات ومفاهيم وصف العنف خبرياً أو مقالياً أو صورياً، ويبدو أن وسائل الإعلام بشكل عام اتخذت لها مادة دسمة وميداناً جديداً لفتح شراك الهيبة والأثر عبر ترويجها

١ يمكن تصنيف مصطلح الارهاب إلى ميادين متعددة وبحسب طبيعة ووسائل وأهداف وميدان وزمان وطريقة ينظر :

ادونيس العكرة: الارهاب السياسي: بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الانسانية ، (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٨٣) ص ٨٤ وما بعدها.

٢ هنا يأتي العنف الإجرائي او الحركي بما يتعلق بكل صنوف الإرهاب عن طريق استخدام الساحات المدنية كأرضية للفعل كالتفجيرات، والاغتيالات، وخلق الفوضى في الساحات العامة، واستخدام السلاح في الأروقة العامة، والمظاهر المسلحة.

لمفاهيم وسلوكيات العنف.

وتلعب الاتجاهات دوراً أساسياً في صناعة وتكوين الرأي العام، ذلك أن الاتجاه (استعداد نفسي لاستجابة سلوكية معينة تجاه موقف معين لم يتحدد بعد)، أنه كامن (نائم) إلا إذا استثير حينذاك يتحول إلى مشاركة في الرأي العام، وهذه المشاركة أو الحكم على ظاهرة هي التي تنقله إلى مستوى شروط الرأي العام. وتتباين المباشرة أو الإيحاء أو المخرجات النهائية بطبيعة الحال بمعنى واحد وهو(التغيير أو الدعوة إلى التأطير)[1] في السلوك أو في الإتجاه أو الفكر، ونستطيع أن نضعه تحت عنوان شمولي وهو(التحريض incitation). ونرى من المفيد أن نستذكر تلك المصطلحات ومناطق وطبيعة العمل والأهداف من خلال الآتي وإن كانت متقاربة النتيجة:

١ مفهوم التأطير هنا : نشير به الى العملية الاتصالية التي تقوم بجهود مخططة ودائمة من اجل اخضاع العقل الجمعي او جزء منه الى نمط محدد (مغلق) تجاه حدث او ازمة او حادثة او جماعة ، وبالتالي يؤطر اتجاهه الفكري والعاطفي وينتج عنه التعصب او التشبث براي محدد كما ترويه الوسيلة الاعلامية ، ويتصاعد هذا العمل في الانظمة الدكتاتورية ، والتيارات المتشددة والتي ترى من وسائل اعلام محددة طريقا لمساعدتها في اتخاذ موقف أو قرار (الباحث).

١- العنف الإعلامي: استخدام وسائل الإعلام في نقل أو إشاعة أو ترويج حالة العنف[١] بالشكل الذي يراكم مقبوليتها (كنقل حالات القتل المباشرة، المواجهات مع الحكومة أو أطراف متصارعة أخرى، التلويح أو التوقع بحدوث عنف فيما لو حصل كذا). ويُروج للعنف عبر وسائل الإعلام سواء أكان ذلك نقلاً للحقيقة أو تغطية مباشرة أو عبر تقارير أو مراسلين بعد الأحداث وهنا القضية متعلقة بالضخ، والكم، والانتقائية، والتكرار، وطرق العرض لهذا الحدث أو ذاك، وهنا الموضوع في الأغلب يصب في العنف الجمعي والذي من خلاله يتم استهداف مجموعة أو جمهور أو الأغلبية التي هي خارج نطاق المجموعة التي تقوم به، وقد أشار علماء النفس والاجتماع إلى مجموعة من التحديدات المعرفية لمفهوم العنف الجمعي نعرض منها[٢] :

---

١ يتداخل مفهوم العنف مع مفاهيم اخرى متقاربة منها (الصراع ،الحرب ...والحرب الاهلية ، العدوان، الارهاب) كما ويصنف العنف الى (العنف الواعي ، والعنف غير الواعي) من ناحية الوعي بالعمل العنفي .انظر :

د.ازهار صبيح غنتاب: اعنف في الصحافة العربة الدولية (عمان :دار اسامة للنشر ،٢٠١١) ص ص ١٤-١٦.

٢ انظر تفصيلاً في موضوع مفهوم العنف والتعصب الجمعي في : د.فرحان البيضاني : العنف الجمعي وعلاقته بالتعصب والتسهيل الاجتماعي (بغداد: المركز العراقي للمعلومات والدراسات،٢٠٠٩) ص ٩٨- ١٠٠ .

هو خطاب أو فعل مؤذٍ أو مدمر تقوم به جماعة ضد أخرى.

- العنف الجمعي هو الفعل الذي تقوم به مجموعة بشرية بسبب عرقي أو طائفي أو ثقافي، والذي يأخذ صفة التحقير أو الإقصاء أو التصفيات.

- قيام مجموعة بشرية ذات خصائص مشتركة باستخدام العنف والقوة، وسيلة من وسائل تحقيق تطلعاتها الخاصة، أو تطبيق سياقها الخاص على الواقع الخارجي.

والملاحظ من التعريفات لمفهوم العنف الجمعي يشترك في خصائص منها :

- استخدام وسائل القوة والضغط لتحقيق أهداف.
- له أسباب عرقية أو طائفية أو ثقافية أو مادية أو مرضية.
- خطاب بالفعل أو الكلام أو الصورة أو لرمز تتوسله مجموعة محددة.
- هذه المجموعة تكون متجانسة ومتفقة مع بعضها أو مع

أطراف أخرى .

٢- التعصب الإعلامي (:(Media prejudiceze

في الغالب تقوم وسائل الإعلام - من حيث تعلم ولا تعلم - بصياغة وتأصيل سلوك أو بناء)صورة نمطية) إزاء فرد أو جماعة، تُشجع أو تُبارك بطريقة أو بأخرى الآخرين، على فكرتهم أو سلوكهم التعصبي من خلال تراكم التركيز بصواب التعصب، أو تسويق الدلائل ضد معارضيهم، أي تعمل على تعزيز الاتجاهات النائمة للأفراد والجماعات وبالأخص ذات الاستعداد العالي، لإبداء موقف حركي للناشطين، سيتماهى هؤلاء مع الرسالة الاتصالية المعززة، وبالتالي سيعتقد أنها له، أو تبارك تعصبه أو تطمح إلى توضيحه. ومفهوم التعصب يقترب من مفهوم العنف من خلال العزلة، والعدائية، والتمرد، وخلق الأفعال. وقد عُرّف (التعصب) بالآتي[1]:

- تعريف (أكرمان وجهودا) Ackerman and Ja-

١ راجع تفصيلاً : تعريفات التعصب عند : د. فرحان البيضاني في كتابه العنف الجمعي وعلاقته بالتعصب والتسهيل الاجتماعي، م.س.ذ. ص ص ١٠٠-١٠٣.

hoda)): نمط من العلاقات العدائية بين الأفراد، وهو موجه ضد جماعة ككل أو إلى أفرادها، وهو يشبع وظيفة غير منطقية معينة في صاحب هذا الإتجاه.

- تعريف (زمبارد ووجيرج) (Zimbardo and Gerrigz) التعصب: هو اتجاه متعلم نحو موضوع الهدف، يتضمن مشاعر سلبية (كراهية أو خوف) ومعتقدات سلبية (صور نمطية) التي تسوغ الاتجاه، والسلوك القصدي بتجنب سيطرة، وهيمنة، وإزالة أولئك في جماعة الهدف).

- تعريف قاموس العلوم الاجتماعية: غلوٍ في التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة، بحيث لا يدع مكاناً للتسامح، وقد يؤدي إلى العنف والاستماتة).

ويتميز التعصب بحزمة من الخصائص منها :

* إشباع وظائف غير منطقية(تعميمات خاطئة) .
* أحكام واهمة (تعسفية) وبناء على صور نمطية .
* إثارة مشاعر الكراهية والعدوان ضد الآخر .

* الابتعاد عن التسامح .

* يتصاعد نتيجة عزل أو انعدام الاتصال والتفاعل مع الآخرين .

١- تصدير الخوف والقلق (Fear export): هي عملية إرسال بيانات أو صور أو أخبار أو وقائع (مؤكدة أم افتراضية) من شأنها أن تثير فزعاً أو خشيةً أو (لا توازن) لدى الرأي العام نتيجة التوقع والتنبؤ بأحداث مستقبلية، بناءً على هول تلك المثيرات، يختل التوازن النفسي لقيام وسائل الإعلام بالتلويح بأحداث أو تحليلات تأتي بغير المتوقع إلى المتلقين، وتصنع قلقاً إضافياً لدى الرأي العام، نتيجة إشارة، أو خبر، أو كلمة أو معلومة، تعود بالسلم الأهلي أو بمصالح المتلقي بالخطر أو الضرر أو تراكم اليأس والخوف المستدام.

٢- تغيير القناعات والاتجاهات السائدة: العملية التي تقوم بها وسائل الإعلام المختلفة سواء أكانت مطبوعة أم سمعية بصرية، تحاول تغيير قناعات الجمهور بأسلوب قسري (عاطفي) نتيجة عوامل مساعدة ترفع حالة التأثير، منها:

- الظرف السياسي والنفسي للمتلقي.

- طبيعة موضوع التلقي وما يشكله للرأي العام سواء أكان (عقائدي، أمني، اقتصادي) ومقدار الخطر أو الضرر الذي يصاحب موضوع التغيير.

- القائم بتصدير الرموز والتأثيرات الإعلامية والرمزية، والعوامل الإعلامية المساعدة كالطريقة، والصوت، والصورة، والتكرار، وخلط الأوراق، والتضليل، والربط التاريخي، وإسناد الحجج، وخلق اتجاهات جديدة ربما تكون متعارضة للثوابت والقيم التي يعتنقها المتلقي ويُصطلح عليه بعض علماء الاتصال (بالاغتيال الإعلامي المؤقت) بالشكل الذي يتماهى مع المتلقي، ويخرج وقتياً أو ربما يصبح منتظماً، ويطيح بقناعاته وتصوراته نتيجة للمثير الجديد الذي إذا تراكم يغير في القناعات.

وكل تلك الحزمة من الاصطلاحات تأتي في ضمن الأنشطة الاتصالية والإعلامية، نسوقها تحت مصطلح التحريض ربما يأتي بشكله الكلي المباشر أو بإطاره البسيط وعلى وفق الجدول الآتي:

جدول (١) (يُبيّن المفاهيم ومختزل خصائصها العامة التي تقترب من بعيد أو من قريب من مفهوم التحريض الإعلامي :

ت	المصطلح الاعلامي	الخاصيـــــة
١	الدعاية	عمل مخطّط دائم يستهدف من المستهدفين تغيير قناعات أو سلوك، بالتضليل أو بالعاطفة وانصاف الحقائق.
٢	الاستثارة الحسية	عملية رمزية إعلامية تقوم باستثارة الجمهور نحو قضية معينة والتحريض عليها للرد أو القيام بفعل، نتيجة مثير محدد يستنفر مشاعر بعض المتلقين أو أغلبهم.
٣	التثوير (التأجيج الجمعي)	الدعوة الصريحة للقيام بفعل مرتبط بتغيير محدد، ويدعو صراحة إلى طرق التغيير من خلال الارتفاع بلغة الخطاب إلى الحماسة والاثارة .
٤	غسيل الدماغ الجمعي (العدوى الجمعية)	عملية تراكمية تقوم بها وسائل الإعلام من أجل تغيير قناعات محددة وإلباس الموصوف (الشخصية أم الفكر أم السلوك) صبغة مقدسة أم وطنية أم خالدة عبر تراكم الضخ الإعلامي.
٥	الحرب النفسية	عمل نفسي تقوم به أجهزة محددة من ضمنها وسائل الإعلام لإجبار طرف محدد على سلوك محدد، يتصاعد في الصدامات العسكرية والأزمات الكبرى، بغرض رفع المعنويات لصالح طرف المخطط، وخفضها للخصم، وهي تعد من بدائل الحرب الفعلية.

٦	العنف الرمزي (القوى الناعمة)	التلويح بالشعارات والصور والأفلام والألوان والملابس والحركات بالعنف أو امكانية استخدامه ضد طرف حدد ولقضية محددة .
٧	العلاقات العامة راديكالية (١)	الجهود الاتصالية المواجهية أو التي تنشط من خلال وسائل الإعلام الجماهيرية، والتي تأخذ شكل الدعوات، أو الأنشطة او الادماج بهدف التسريع، والفورية باتباع نظام التغيير، أو الوصول إلى هدف بأساليب قد تصل إلى التطرف والقوة، وليست لها ضابط أو مساحة من التفاهم مع الجديد.
٨	التأطير (بناء الصور النمطية)	عملية اتصالية متواصلة (هدفها الغلق) بالاتجاهات والأفكار وصناعة طريق محدد من الأفكار والقناعات المستدامة نحو قضية تتبناها الوسيلة الاعلامية وتحرص على عدم النفاذ إلى غيرها في الاهتمام .
٩	حملات التغيير الفوري	هي جميع البرامج والخطط التي تتبناها وسائل الاعلام، للقيام بحملات التغيير الفورية باستخدام طرق محددة أو مفتوحة للوصول إلى هدف تعتقد أن خطابها في الكثافة والتكرار سيسرع بتبني أهداف الحملة والعمل بها (وهذا ينافي أدبيات العمل بالحملات أو علم العلاقات العامة).

١ هي فلسفة سياسية تؤكد الحاجة للبحث عن مظاهر الجور والظلم في المجتمع واجتثاثها. ومصدر كلمة الراديكالية، Radis، وتعني الجذر أو الأصل. فالراديكاليون يبحثون عما يعتبرونه جذور الأخطاء الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المجتمع ويطالبون بالتغييرات الفورية لإزالتها.

المبحث الثاني

مفهوم التحريض الإعلامي والعمل الدعائي

على الرغم من أن نظريات التأثير الاعلامي قد ركزت بشكل كبير على (العلاقات السيوسومترية) والمرجعيات الثقافية، والقيم الجمعية، ربما على حساب المرجعيات والفعل النفسي الاعلامي، وربما يرجع الأمر إلى أن صياغة تلك النظريات قد يعود إلى طبيعة نشاط وميدان التلقي الجماهيري آنذاك في أواخر الخمسينيات ولغاية التسعينيات. وفي تلك الفترة كانت مؤسسات الإعلام ومستهلكوها تسير على أفق الإعلام التقليدي عبر التلفاز والراديو والصحف، وتلك القنوات كانت تغطي وتتوجه في الغالب بإطار الوعاء السياسي والمجتمعي والخبري. وبالتالي كان التركيز إلى حد كبير في الدراسات الإعلامية يميل إلى نمط العلاقات الاجتماعية والبيئة الثقافية وفاعلية قادة الرأي في الترويج للأفكار أو الحملات أو أساليب الدعاية ومنطقيتها، تلك

البنية الفنية والاجتماعية تقودنا إلى التأكيد على هيمنة الخطاب الدعائي (الجماهيري أو الجمعي)، لاسيما وأن الرقمية الاعلامية لم تدخل أو تشهد حضوراً كالذي نشهده الآن من شيوع ظاهرة التلقي والتفاعل والاتصال الرقمي على قدم وساق. وبالتالي تأثر الفعل النفسي ونواظم الاستهداف إلى سلم ومسار جديد كان من الصعوبة بمكان أن تقبض أو تتحكم في جمهور مليوني أو خارج نطاق أسوار الغير، أثيري، شمولي.

وقد ارتبطت أدوات التحريض، ومنها الدعاية والإشاعة والحرب النفسية، بالواقع السبراني الجديد، سواء أكان في الصناعة أو التخطيط أم طرق الاستهداف الميداني، دخول الانترنت على الخط، وأتسعت مهام وقوالب وامتداد الفضائيات، بالإضافة إلى ما هو معروف فقد انتقلت الصحف والسينما والمسرح والفنون الأخرى إلى صور فورية تصنع من الجميع، وتتناسخ وتغيرت الخارطة بالشكل الذي غدا التأثير ربما عاملاً فردياً أو (ذاتياً) حينما اتسعت صحافة المواطن، واكتسح الفرد جبروت المؤسسات التي كانت تنظر بشفقة إلى ما تقدمه من حاجات

اتصالية.

والتحريض اول المُسرعين وراء هذا الانقلاب الجديد، بالإضافة الى جميع مرافقاته النفسية والاجتماعية، وحتى المدارس التحليلية للراي العام هي الآن عاجزة (وغير دقيقة) إن صحَّ التعبير في الخروج بقياسات أو أحكام الجماهير على مستويات عدة من خلال وسائل الإعلام، فالمتلقي انتقل إلى صائد قنوات وليس كما كان في حقب قبل الفضاء، وانتقل من انتظار التغطية أو تلقي الأخبار والأفكار إلى مصدر ومحرر لها عبر أدواته المباشرة واتصاله بشبكة هائلة من (الأنا) الفردية والجمعية البشرية (الشبكة العنكبوتية).

مشهد مُثير ويتسارع ... في ظل عجز المؤسسات الكبرى والصغرى الحكومية والمستقلة في ركاب تجميد المشهد (والركون إلى تصفير) ما يجري من اعتمادية غير ملزمة للجميع. ومع تنامي الاعتمادية تلك، تتمدد قنوات التأثير نفسها وانتقلت من المتخصصة إلى (المتفرعة) بالمواقع الالكترونية والمراكز

الخبرية الرقمية، الصحف ومراكز التدريب، ملاحق اعلامية للفضائيات، وتلك أمتدت إلى الاستمالة بالراديو ومن ثم الصحف والرعاية للأنشطة وهكذا أمتدت إلى مؤسسات شاملة الأدوات وكل ذلك لملاحقة أي من الجمهور العنيد.

وهكذا دخلنا في رحاب آلية جديدة واستنفار نفسي ورمزي جديد، أساسه المهارة والمنافسة وحرب الصور، فمن يمسك بتلك الأعمدة حتماً سيتمكن من قطبي العمل الإعلامي، وهما: الدفاع (الصيانة المجتمعية والفردية) والأخرى الهجوم باتجاه تصدير الأفكار والمفاهيم والصور النمطية التي يبغي إشراك الآخرين في اعتمادها أو التماهي معها.. ومن تلك القطبية يتجلى سير العمل بالتحريض والدعاية ومتقرباتها التي ذكرنا.

والنظريات في علم الاجتماع الاعلامي تتقاطع في التساؤل الذي شغل العديد من الباحثين حول دور الإعلام في العنف والتحريض والتلاعب بالاتجاهات العدوانية. من جانبها ترى بعض المدارس أن العنف في وسائل الاعلام يشكل (دوراً وظيفياً)

في التنفيس على بعض المشاعر والاتجاهات (النشطة) لبعض الأفراد، وأن وسائل الإعلام وكجزء من (بُعدها الانتقائي)، تنقل المشاهد التي تشكلها البيئة السياسية والاجتماعية للبلد من جهة، ومن جهة أخرى - تحت يافطة - نقل الواقع سواء أكان بدمه أم بمائه - لكنها تتغافل عن أثرها السيكولوجي والأخلاقي في التركيز، أو في عدها من الأولويات أو توظيفها الانتقائي.

أما المدارس الأخرى والتي ترى أن نقل العنف إلى وسائل الإعلام قد يخلق (اطاراً تعليمياً) وتقمصاً وجدانياً وتشكيلاً للأبطال أو الخارقين في المجتمع، كما وينشر الهلع والخوف والخشية من ترقب مصادر مفترضة ومحتملة .. شكلتها وسائل الإعلام، وكانت دراسات الرصد الأمريكية قد ألمحت إلى (وجود علاقة طرديه) بين ارتفاع معدلات العنف والجريمة وبين تصاعد المضمون الإعلامي عبر شاشات التلفاز والسينما، وخاصة بعد (نتائج الاستقصاء) وإرتفاع معدلات (عنفية المجتمع الأمريكي)، وبالتحديد نتائج حادثي اغتيال (لوثر كنغ وجون كيندي). وتبعات الأزمة النفسية للجنود المشاركين في

فيتنام، وما تلاه من الخلل السلوكي لبعض الشباب الأمريكي جرّاء ثقافة العنف.

وعلى أنموذج تدفق الاتصال الذي أقترحه (روبرت بيكارد Robert picard) فإن التغطية الإعلامية وطرق التركيز على حدث أو واقعة (تحمل درجة من العنف) تعمل ضمن منظومة بالغة التعقيد على مستوى الاتصال. ويشمل آليات التدفق أحادي وثنائي الاتجاه ، ويركز بيكارد على أن المعلومات تلك تنتقل إلى جمهور عام، والجماعة التي نفذت حادث أو سلوك العنف ومن يؤيدها أو من يعارضها، وكذلك إلى الحكومة أو الجهات المستهدفة المحلية و(الرسالة الخارجية) للحكومات الخارجية وتستقبل في الوقت نفسه من تلك الجهات معلومات حول الحدث، ومن ثم تعيد بثها لكل الأطراف، وبمعنى آخر أن وسائل الإعلام تعمل (كمضخة) تحتل موقع القلب في نموذج الاتصال (بحسب بيكارد) إذ تتحكم في توزع المعلومات على أجزائه كماً ونوعاً داخل الأجزاء بحسب شأنه في الحدث. وهكذا

تستمر العملية بشكل ديناميكي متدفق.[1] وثمة تفسير إعلامي للعنف، مفاده أن استبعاد بعض القيم غير السائدة في المجتمع، والتي تتبناها بعض القوى والجماعات العنيفة من اهتمامات وأولويات وسائل الإعلام يكون متسقاً مع الاستبعاد السياسي والمؤسسي (الحزبي) لها، مما يدفعها إلى استخدام العنف.[2]

وهناك مقولة تشبه القاعدة في أروقة العمل الإعلامي يسير عليها منظموا التغطية الخبرية يعرفها الإعلاميون قبل غيرهم، تقول المقولة بالانجليزية (if it bleeds it leads)، بمعنى كلما كانت القصة تنزف دماً كانت هي القائدة في أخبار المساء! أي أن الأخبار تفرض أولوياتها على خارطة النشرة بإثارتها وغرابتها، وبما أن العنف وسيل الدماء تشكل حالة غير مقبولة في السياق المجتمعي والسلوكي، فإنها تتصدر الاثارة والغرابة،

1 (1) Robert picard , Media portrayals of Terrorism :functions and Meaning of News Coverage (Iowa :Iowa university press ,1993) p.24 lbid,p.30

2 Niel . C.Livingstone , The War Terrorisom , (Lexington : Lexington Book , 1982) p.36. عن : د.ازهار غنتاب :العنف في الصحافة العربية الدولية ، م .س.ذ.ص33.

فضلاً على أن العنف يشكل خسارة بشرية سواء أكانت بالأرواح أم بالجسد أم بالنفس فإنه يعتبر بحسب أجندة وسائل الإعلام أعلى الخسارات.

وعبارة (إذا كان يدمي، فسيقودنا إلى مكانه) ترجمة أخرى للنص بالانكليزية، وهو توصيف اختزالي إلى ميل وسائل الإعلام إلى تقديم العنف بطريقة مثيرة (درامية) أم (دالة خبرية). وهنا يتساند نمطان من التصدير العنفي (العنف الاخباري) وهو النمط الذي يُغرق المتلقي بسيل من الأخبار والصور والمشاهد التي تغطي حالات الصراع والقتل والاضطراب والاحتراب والتمييز...الخ، والبُعد الآخر هو (العنف الترفيهي) والذي يشكل نسبة كبيرة ورائجة من قبيل تصدير العنف المقترن بنجاح دراما المسلسلات والأفلام وحديثاً أصبح حتى في برامج الحوار السياسي[1].

وضمن إحدى المؤتمرات العربية حول العنف في وسائل

١ انظر حول الموضوع تفصيلاً في : محمد الرميحي : نهاية عصر الاعلام الرسمي العربي : استرجع بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ٢٠١٣ من موقع : www.alarabiya.net

الإعلام قدمت (د. رولا الحروب) ورقتها التحليلية حول (الإعلام والعنف الترفيهي) وأطلقت حقائق وأرقام مهولة الخطورة فيما تشكله البرامج والمسلسلات والأفلام المصرية بالتحديد من تسويق للعنف والكراهية. وتشير(د. رولا) إلى أن ما يقرب من (١٨) مسلسل عُرض في شهر رمضان، كان هناك أكثر من(٥٠٠) حلقة عنيفة، إذ تعرضت في مفاصل الدراما ما نسبته (٤٣٪) لضرب النساء، و(١٣٪) منهن للقتل، وشكّل العنف اللفظي مساحة هائلة في ثنايا مفردات الفئات العنفية، وترى هناك علاقة ارتباطيه بين التعرض للعنف مشاهدة وممارسة العداء، وحتى الناس العاديين يمكن تحويلهم إلى إيذاء الآخرين عن طريق الإعلام، وتستعرض الباحثة في ورقتها حول ما يشكله مضمون الإعلام الأمريكي فتشير إلى أن (٩٩٪) من محتوى إعلام الطفل يحمل رسائل أو إيحاءات عنفيه وتحريضية، ونسبة (١٠٠٪) مما يقدم للبالغين، كما وأن العنف الاخباري يشكل نسبة ضخ متصاعدة في ثنايا النشرات والبرامج الحوارية والوثائقية، والتي في الغالب الأعم تركز على اذكاء قيم تبدو

ناصعة لكنها محمّلة بالتميز والعدوان والشد العاطفي كالوطنية والدفاع والإرهاب ومشكلات الحدود والسيادة[1] ..الخ.

التحريض الاعلامي: على الرغم من أن وسائل الإعلام بشكل خاص والنشاط الاتصالي الانساني بشكل عام يبغيان من وراء أي نشاط رمزي أو سلوكي (مثير أو منبه) كالحديث، والإشارة، والكتابة، والفنون، والحركة الإشارية، كل تلك المنبهات تعد رسائل قصدية بغرض اساسي تشترك معه بشكل مبسط وسائل الإعلام جميعاً وجميع خطاباتها ألا وهو (التأثير) أو طلب الاستجابة، وتلك المهمة تتراوح بين الاستحالة والبساطة في ظروفهما المختلفة وتتعقد وتتبسط تبعاً إلى العوامل الآتية :

القائم بالخطاب أو مصدر الفكرة أو الرمز.

لمن موجه (الخصائص النفسية والاجتماعية للمستهدف).

مستوى تعليم وثقافة المستهدف.

١ انظر: مؤتمر الاعلاميات العربيات (خطوة باتجاه الحقيقة الى اللاعنف) صحيفة تشرين الالكترونية www.tishreen.news.sy

ظرف الاتصال (الأجواء النفسية والبيئة) ومستوى العلاقة بين طرفي التأثير. فالمستهلك في حالة الحرب، والأزمات، تختلف ذاته في حالة التخمة الاقتصادية والسلم وتصاعد التنمية.

اللغة أو الرموز التي تشكل الجوهر والأدوات المادية والرمزية والدلالية للخطاب، استخدام الكلام، الصور، السينما، حجج منطقية، إيحاءات، أرقام واحصاءات، استخدام التاريخ والموروث، المنطق، الخيال ...الخ .

خصائص الأفكار أو الرموز (ومدى حاجتها الفعلية) للمستهدف .

اظهار النية أو الهدف من جراء النقل أو الترميز أو التكرار .. فكلما ظهرت نية (المؤثر) كلما ضعف التأثير .

وسيلة التأثير (قناة النقل) اللغة المنطوقة المباشرة، عبر الفضائيات، الراديو، منشورات، مؤتمرات، صحف، كتب، وتلك يمكن أيضاً أن تأخذ تفصيلات متعددة.

توقعات الجزاء أو الفائدة المرجوة أو المحتملة من التعرض

لمضمون ما[1].

قياس الأثر، أو (رجوع الصدى Feed Back) حول (نتيجة المنبه)، والبعض يشدد على مخرجات العمل الاتصالي والتأثيري بغرض التصحيح أو التركيز أو تفادي المفقودات من طاقة الاستجابة .

١ ينظر تفصيلاً حول اليات التلقي الاتصالي والعوامل المرتبطة به في: كامل القيم: بناء الاتصال ومشكلات التعرض الاتصالي، م.س.ذ.ص ٧٧ وما بعدها.

التحريض والبُعد النفسي

يقترن التحريض (incitement) مع مفهوم الدعاية بشكل أكثر من غيرها، باعتبار أن الدعاية تُعد ماكينة للتأثير النفسي والعاطفي وأداة أساسية للتحريك السياسي. وتشكل الخارطة النفسية للتحريض الأولية والفورية للنفاذ إلى موجهات التغيير الانسانية، ومن خلال تجارب التراث الدعائي الدولية نرى أنها تلعب بثلاث ورقات لا ثالث لهما، الأولى تتعلق بالمؤيدين (الأنصار) وهي تتوجه لهم بتراكم النصرة وتأجيج التأييد وصحة الاتجاه، والثانية تتوجه إلى المحايدين باعتبار أن هناك إمكانية (وعبر جهود مخططة وناعمة) لتحويلهم إلى مناصرين أو محرّكين داخل بيئة الفعل أو ربما متمردين، والثالثة تتوجه عادة إلى (المعاندين) أو الأعداء أو الخصوم بلغة الدعاية، وتلك الجهود متناغمة ومتفاعلة وتتوسل بكل السبل والآليات كي تصنع الأهداف، وقد يكون التحريض جزء وملعباً أساسياً للعمل على الأقطاب الثلاثة، أم على وتر دون غيره، بشكله الناعم المخفي، أو بغيره الواضح المعالم والغايات.

ومن خلال دراسة الفعل التحريضي الذي يتدفق اليوم عبر شاشات الفضائيات والمواقع والصحف وغيرها من الأدوات التأثيرية، نرى أن الفعل النفسي هو المفتاح الأول لجدوى العمل التحريضي، ومن ثم يتصاعد إلى الفكر والعقيدة وغسيل الدماغ وغيرها من فنون التحكم عن بُعد، فالأعمال النفسية ((Psychological Operations وفق الفعل التحريض هي: الاستخدام المدروس أو المبرمج لجميع أشكال الأفعال البشرية عبر وسائل الاتصال المختلفة بشقيها الشخصي (المواجهي) أو الجماهيري (الإعلام)، والتي توظَّف للتأثير على مواقف وقناعات وسلوكيات الجماعات الأخرى، سواء كانت معادية أو محايدة أو حليفة لهدف محدد. مستخدمة ترميز أو استمالات خارج نطاق المهنية والوظيفة الإعلامية، والعمل النفسي يتميز بخصائص منها:

يسعى إلى التأثير في مواقف جماعة ما باستهداف وعيها وفطرها وعواطفها.

أقل تكلفة لتحقيق عدد أكبر من الأهداف.

إن جميع الأعمال والاستجابات البشرية لها مدلولاتها النفسية - ترفض الجماهير عموماً استعمال القوة ضدها- وبالتالي فإن الأعمال النفسية تصبح وسيلة شعبية بالتقبل اللاإرادي لفرض السياسات.

زرع الخوف وتنمية الشعور بفقدان الأمن لدى الآخر .

العمل النفسي يمكن أن يحقق الأهداف دون خسائر في الأرواح .

كما يمكن التخطيط لها وتنفيذها بدون أن يتفطن إليها الآخرون.

فيها الكثير من فنون التأثير وترميز الأفكار ومخاطبة العاطفة.

الاتاحة والسهولة في تصدير الفعل النفسي من خلال المتاح من وسائل الإعلام الرقمية وعبر الأدوات الأخرى غير المنظورة .

التحريض النفسي طيّع (قابل للإستخدام الايحائي) نظراً للاستهلاك الترفيهي والخبري المتزايد من وسائل الإعلام .

إمكانية إخفاء النية أو مصدر الفعل (القائم بالاتصال).

وبناءً على ما سبق، فيمكن أن يضع الباحث تعريفاً إجرائياً للمحّرض الدعائي والإعلامي وهو (الجهة الإعلامية الرسمية أو الخاصة أو المجهولة أو (الشخصية المعرّفة) التي تستخدم خطاباً مطلبياً بالإيحاء الرمزي أو المباشرة به، لتغيير المواقف والسلوكيات عن طريق تغيير آليات التفكير واتخاذ المواقف، إما في اتجاه جعلها سلبيه مما يفقدها الإرادة والقدرة على رفض الأعمال والمواقف المضادة، أو بدفعها نحو اتخاذ مواقف فاعلة تخدم مصالح الجهة القائمة بالدعاية، أو بالمضمون الإعلامي وشكل استخدامه).

اشكال التحريض :

يرتبط الفعل التحريضي في وسائل الإعلام بغاية في التعقيد، من خلال سيل الخطاب وتنوع سياقاتها فقد يأتي ضمن إشارة من مذيع، أو تهكم صوتي أو تكرار لفظ أو لقطة، أو تجميد صورة أو شكل بالإضافة إلى انتقاء المحتوى الذي ربما يحمل صدفة اعلامية أو واقعية ضمن سياق العمل السياسي أو الاجتماعي أو السلوكي، وبالتالي يوظف توظيفاً دقيقاً في صيغة العرض أو حرية التعبير، أو الدفاع عن حقوق، أو التماهي مع مطالب، أو الإيحاء بالإسناد والتأييد من خلال الاكتفاء بعرض المادة التحريضية على أنها جزء من خارطة العمل الطبيعي. ويأخذ التحريض الإعلامي بُعدين أساسيين هما :

أولاً: التحريض المباشر (Direct incitement)

نستطيع تحديد التحريض الإعلامي المباشر بالتعريف الإجرائي الآتي (جهود مقصودة مباشرة واضحة بصيغة الدعوة للقيام بفعل يقوم بها فرد أو جهة من خلال قناة إعلامية أو شخصية لتوجيه أو تطويع أفعال الناس وأفكارهم على أن تتركز تلك الجهود في مجالات تغيير المعتقدات والإتجاهات والأفكار. وتؤدي إلى سلوكيات أو مواقف مفاجئة، تأخذ طابع العنف أو الإيحاء به نحو أمور مهمة باستخدام رموز (symbols) متعددة. لاحظ تعريف الدعاية: (مجموعة الرموز التي تؤثر على الرأي العام أو الأعتقاد أو السلوك، وذلك بالنسبة للقضايا غير المتفق عليها في المجتمع). ويهدف التحريض المباشر عن طريق وسائل الإعلام إلى:

التحريض على القتل والاغتيال الديني والعنصري والمذهبي.

العصيان المدني أو العسكري على الكره والنُفرة من الآخر.

تجريم أو اتهام الآخر بفعل مشين.

التظاهر ورفض الواقع بالسلوك القمعي ضد الحكومة الدستورية ومؤسساتها.

إشاعة عدم الانصياع إلى المنظومة الاجتماعية أو القانونية.

الانكسار النفسي والإحباط.

عدم التعامل مع ملفات معينة تعامل عقلاني.

إلغاء الإتجاهات الإيجابية نحو طرف من الأطراف.

صناعة روح التمرد والشك والخوف وعدم الثبات.

فشل إدارة الدولة والمؤسسات.

ثانياً: التحريض غير المباشر (Indirect incitement):

عرفه الباحث اجرائياً على أنه :

النمط من الخطاب الاتصالي الذي ينتج عند تلقي مضمونه تأثيراً واستجابة تولد نمطاً من أنماط الكراهية أو العنف أو الإحباط أو الخوف أو عدم الإنتظام. وقد يكون مخططاً بعناية،

أو تلقائياً غير مقصود من قبل مصدر الخطاب نتيجة الانتقاء والتكرار والتركيز والترميز العاطفي لقضايا حساسة مجتمعياً.

أدوات التحريض الأساسية (Incitement Basic Tools):

الوسائل المطبوعة وتشمل:
الصحف، المجلات، المنشورات
الكتب، النشرات، رسوم الكاريكاتير
اعلان الحائط، الملصق ...الخ
المنطوقة والصوتية وتشمل :
الخطب، الأغاني، الأناشيد الوطنية
الشائعات، وحملات الهمس ..الخ
الفنية التصميمية وتشمل :
التماثيل، الصور، العلامات، رسوم الكاريكاتير، الدمى، الإعلام، الرموز، الشعارات، المعارض المنطوقة والمرئية التي تجمع الصوت والصورة وتشمل:
كالسينما، والـ TV
والمسرح، والإنترنت
الوسائط المتعددة في الإنترنت
القنوات الشخصية وتشمل:
الاجتماعات، والندوات، والخطب
المؤتمرات، والمناظرات، المظاهرات العنفية
الجامعات والمكتبات والخدمات السياحية والمصرفية

قادة الرأي وشخصيات التأثير، الأطفال، فئات اجتماعية. الاستعراضات، والمواكب، والتجمعات، والتظاهرات والتحشيد

مقومات وبيئة التحريض في خطاب الإعلام العراقي:

لم تكن بلدان المنطقة والعراق بشكل خاص بيئة مثالية للتحريض كما اليوم، فالمتغير السياسي والديمقراطي الذي عصف بالمنطقة، فضلاً عن ما شهده العالم من تنامي التيارات الاسلامية الردكالية والأصولية المتشددة، وما خلفته السياسة الأمريكية والعالم بعد أحداث (١١سبتمبر)، أدخل التحريض كنابض وميكانزم جديد في الخطاب السياسي بشكل عام والخطاب الإعلامي على وجه الخصوص، وفي ظل نظرية (الفوضى الخلاقة) وعدم الانتظام الذي تشهده المنطقة وتضارب الأدوار في ظل (المتغيرات الاقليمية) وفي الجهل السياسي والانفعال العقائدي الذي يعتري بعض التيارت والأشخاص وتفاقم دور المال السياسي، كانت وسائل الإعلام جديدة قد أدخلت بالخط العريض للتحريض وحروب الدعاية، والأخرى أدخلت نفسها بحكم الأحداث أو الشخصيات أو القوى المسيطرة على وسائل

الإعلام أدخلت بشكل مباشر أو ايحائي في مسرح تصدير وصناعة العنف والتحريض، ويبدو أن بعض وسائل الإعلام وحتى ذات التصنيف التجاري وجدت أن التحريض والعنف مادة دسمة للرضا السياسي والجماهيري، فضلاً عن اتساع رقعة رفع الشأن وتوسيع قواعد واستجابات الرأي العام .. وبالتالي الكل قد دخل لعبة التجريب والمغامرة، على حساب الدم والأمن النفسي وبناء المجتمع على حساب التشارك والمواطنة والسلم الأهلي، فخرائط دول التغيير في المنطقة تشير إلى الارتباك وعدم الانتظام في شعيرة رفض العنف وديناميته الاجتماعية والاعلامية، كما يحصل الآن في (ليبيا، ومصر، وتونس، والبحرين، واليمن) فضلاً عن العراق، الساحة الأكثر دموية وتاثيراً للعنف الاعلامي بأشكاله المختلفة.

وكان العراق ضمن المجتمعات الانتقالية والتحويلية أكثر المجتمعات استهلاكاً وإنتاجاً للمضمون العنفي من خلال وسائل الاتصال والإعلام، هذه الكثافة لم تأتِ من فراغ، بل إنها في الغالب تتساوق مع التحول الجذري لبنية وسائل الإعلام وأهدافها وتمويلها، ومن ثم انتقالها من الممنوع إلى المسموح

عبر التحرير الكيفي في أحيان كثيرة، أو طلباً للتميز والشهرة والخروج عن المألوف، هذا بطبيعة الحال يترك خلفه جملة من الرسائل إرادية أم عن طريق الصدفة، التي من شأنها أسن تُغذي العنف بأشكاله المختلفة.

فحينما حصل التغير السياسي في العراق بعد ٢٠٠٣ كانت وسائل الإعلام مركزية التوجه، وهي إلى حد كبير معتادة بفعل الخوف أو الأطر الرقابية للنظام أن تكون مرتكزة على الأداء الإخباري الذي يرضي أو يحول نشاط السلطة إلى تنمية أو إلى نشاط إيجابي، ولكن في مرحلة العراق الانتقالية (البناء السياسي الجديد) كانت وسائل الإعلام قد سارت بطرق ومسارات أسرع بكثير من السياسة، فهي كما ذكرنا تُريد لنفسها بصمة هامة من المنافسات الآخريات، في ظل عدم وجود ضوابط أو محددات للتغذية المجتمعية المضرة ومنها العنف. وقد ساعدت الأجواء الأمنية المنفلتة والطائفية السياسية والاحتدام العنفي في مناطق بغداد وبعض المدن على سحب وسائل الإعلام إلى ذلك الميدان ودخولها بشكل صريح في تغذية ذلك الصراع وإذكاء ثقافة

العنف ضد الآخر عبر مجموعة من الآليات منها:[1]

التأكيد الخبري على أعداد القتل على الهوية، وحالات الخطف والتهجير.

الإيحاء في المضمون المصور أو المذاع على إمكانية الاستباحة المفاجئة لجهات مجهولة مما أربك جميع المكونات.

التأكيد على كلمات تؤكد على فتح ملفات مختلفة لا تتناسب مع إشاعة الجو المطمئن لحياة طبيعية آمنة، كملفات الفساد وتهريب الأسلحة وصناعتها، والمجاميع الخاصة، وضعف الاقتصاد، وتزوير الوثائق.

الإيحاء (قصداً أم تلقاءً) بعوامل تشيع ثقافة العنف وتعمل على أن يكون جزء من اعتيادية حياة العراقيين، من خلال تحوير الاتجاهات وتثويرها، وتحفيزها باتجاه سلوكي معين بالكلام أو الرضا أو الحراك عنفاً.

١ د. كامل القيم وآخرون: موقف وسائل الاعلام تجاه ظاهرة العنف (مركز المرأة لمراقبة وسائل الاعلام) بابل: الدار العربية للنشر، ٢٠٠٩) ص ١١-١٢.

أما علاقة التغذي العنفية بالرأي العام ففي الغالب يكون وسيطها عوامل عدة، منها تصريحات السياسيين وأعمال الاضطراب والشغب والتناحر والبغضاء، وكل تلك جسرها المُعبّد وسائل الإعلام بأشكالها الأربعة الأساسية، فالباحثين يشيرون إلى ذلك بالطبيعة المائعة للرأي العام، فهو قوة حقيقية شأنها شأن الريح، له ضغط لا تراه ولكنه ذو ثقل عظيم، وهو كالريح لا تمسك بها ولكنك تحني لها الرأس متطبعاً.

والرأي جزء من منظومة متكاملة تبدأ بالمعلومات وتنتهي بالسلوك وتشمل: (المعلومات، والآراء، والاتجاهات، والقيم، والمعتقدات، والسلوك، وهذا ما تنطوي به العلاقة بينه وبين وسائل الإعلام) والرأي العام لا يمثل بالضرورة رأي المجتمع أو الشعب بشكل مطلق أو لكل الظواهر، إنما يعبر عن القوة الظاهرة أو الأكثرية لقضية تستحق الحسم وبسلوك مُعلن، وإن أهم ما يميز الرأي تلك مجموعة من الخصائص التي من شأنها أن تحكم جوهره، انه يرتبط تشكيل الرأي العام بالاتجاهات والمرجعيات النشطة للمجتمع وللأفراد التي قد يتكون منها

وتصبح له أدوات تشكيل وبناء تراكمي بحسب استثارتها من قبل وسائل الإعلام والدعاية وتصاعد الظاهرة، سواء مشاركة انتخابية أو مظاهرة سلمية أم سلوك قيادي أم بلورة موقف تجاه قرار بالتأييد أو الرفض، أم نحو أزمة وقضية قيد التصاعد وطاولة الاهتمام[1] وحينما نحلل الواقع العراقي ومتغيراته السياسية نستطيع الخروج بمقومات ارتفاع وخصائص العنف والتحريض الإعلامي في العراق، ونخص منها:

١ د. كامل القيم وآخرون: موقف وسائل الإعلام من ظاهرة العنف .م.س.ذ.ص١٢.

جدول (٢)

يبين خصاص التحريض الاعلامي في العراق

ت	الخاصية	المؤشر الاجرائي (الواقعي)
١-	العراق يعد المستورد الأول للتحريض	مرتفع جداً
٢-	المسند الطائفي ثم السياسي (لمادة التحريض ورفع العنف بشكل عام)	مرتفع جداً
٣-	الجميع بشكل أو بآخر يحرض (من حيث يعلم ولا يعلم)	مرتفع
٤-	يستخدم شكلان أساسيان للتحريض (المباشر وغير المباشر)	متوسط
٥-	الوقائع والمخرجات اليومية للاستهداف الارهابي واستمرارها مناخاً جيداً للخطاب التحريضي من الأطراف الأخرى	متوسط
٦-	قادة الرأي السياسي والديني والأكاديمي تشترك بشكل أو بآخر بالتحريض ربما دون وعي أو بصيرة لمضمون الخطاب الموجه عن طريق وسائل الإعلام .	ضعيف
٧-	توجد قنوات اعلامية دولية أو عربية أو عراقية تبث من الخارج، تمارس التحريض المنتظم على خلفية أخطاء إدارة الدولة أو تصريحات المسؤولين	متوسط

أما مقومات استخدامات التحريض والعنف في العراق فترجع إلى الآتي:

تراكمات النظام السابق، وبطء العملية السياسية أوجد مناخاً مثالياً لصناعة التحريض في العراق.

التشكيلات السياسية الطائفية، والمذهبية، والمناطقية، شكلت حاضنة مشجعة لأن يكون التحريض إحدى أدوات السياسيين.

ظرف الاحتلال، وتدخل دول الجوار بلا إستثناء عمل على تغذية وتربية العمل بالتحريض.

ضعف الدور الرقابي لوسائل إشاعة التحريض ومغذيات العنف الأخرى، وإهمال تطبيق القوانين التي تحد من ذلك.

إعادة تشكيل مؤسسات الدولة، خلق افتراقات بين جهات في مجال توزيع المراكز الحساسة، وعملية تشكيل السلطات.

بطء عملية التطور للقوات الأمنية والاستخبارية العراقية.

الافتراق الميداني بين وعود المسؤولين والواقع الخدمي والاقتصادي، خلق اتجاهات متنافرة مع بعض القوى.

ضعف رد الفعل العربي والدولي تجاه العنف الذي عصف بالعراق، بل و(تغذيته) جعله سمة من سمات المجتمع العراقي.

عدم جاهزية قادة الرأي السياسي لبناء مشروع وطني يتقبل الآخر.

ظهور مشكلات في إدارة البلاد عزّزت مشروعية التحريض على العنف الطائفي والتمرد منها :

الفساد، البطالة، المحاصصة.

تعطيل تشريع وإقرار القوانين، التعتيم على الجرائم الإعلامية والعربية والدولية.

الانفعال والعشوائية في التعامل مع الملف التحريضي والأمني.

بحكم بعض الأسباب التي سنوردها كانت وسائل الإعلام

العراقية أسيرة ما يحصل من افتراقات وتجاذبات، وكانت أدوات طيّعة بأيدي السياسيين والممولين.

قوانين الحد من التحريض والعنف في العراق:

حملت القوانين العراقية جملة من القوانين التي تجرم وتحدد حالات التحريض والعنف الإعلامي عبر وسائل الإتصال ومنذ بداية تكوين الدولة العراقية، وهناك مواد صريحة تحملها مواد قانونية سواء أكانت ضمن القوانين النقابية أم العقابية أم الأوامر والقوانين التي جاءت بعد سقوط النظام، ونوجز منها الآتي:

قانون نقابة الصحفيين رقم ١٧٨ لسنة ١٩٦٦ منع الصحف من اختلاق الأخبار والتضليل وافتعال الأحداث وتهديد المواطنين وزعزعة الثقة بالبلاد.

قانون المطبوعات رقم ٢٠٦ لسنة ١٩٦٩ أشار إلى منع التحريض على العنف وقرر فرض عقوبات على مالك المطبوع ورئيس التحرير وكاتب المقال، وأوجب سريان ذلك على المؤلف والمترجم والناشر.

قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ النافذ حالياً نص على معاقبة رئيس التحرير بصفته فاعلاً أصلياً في جرائم النشر وإذا لم يكن ثمة رئيس تحرير يعاقب المحرر المسؤول عن القسم الذي حصل فيه النشر.

سلطة الإئتلاف الأمر رقم ١٤ ١٠/ ٦/ ٢٠٠٣ (حظر وسائل الإعلام ومنعها من التحريض على العنف ضد أي فرد أو مجموعة أو التحريض على الإخلال بالنظام او إثارة الشغب).

اما الأمر ٦٥ في ٢٠٠٤/ ٣/ ٢٠ الخاص بالهيئة العراقية للاتصالات الإعلامية (عدم التحريض على ارتكاب أعمال العنف أو الكراهية أو الاضطرابات أو التي تؤيد الإرهاب أو الأعمال الإجرامية، ومنعت التوجيهات نشر التصريحات العاطفية والغاضبة التي تتضمن دعوة مباشرة أو ضمنية للاحتجاج العنيف أو العنف ضد الحكومة أو ضد تطبيق القانون أو ضد الأفراد أو المجموعات.

وتضمن الأمر ٦٦ في ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣ الخاصة بهيئة خدمات

البث والإرسال (شبكة الإعلام العراقية) بأن هدفها هو استعادة أوضاع الأمن والاستقرار في البلاد وإنشاء منبر حر يحترم حقوق الإنسان وحرياته.

صدر أمر (قانون) الدفاع عن السلامة الوطنية لسنة (٢٠٠٤) متضمناً فرض قيود على الأموال العائدة لمن يحرض على ارتكاب أفعال تعد من أفعال العنف واتخاذ إجراءات على الطرود والرسائل البريدية ووسائل وأجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية (وسائل الإعلام) -ويجوز إيقاف عمل هذه الأجهزة واتخاذ إجراءات عسكرية وأمنية سريعة ضدها وتوقيف وحجز الأشخاص والأموال وفرض عقوبات تتضمن الحبس على مسئوولي هذه الأجهزة.

أما قانون مكافحة الإرهاب رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٥ فقد عاقب التحريض على ارتكاب الجرائم الإرهابية ومنها العنف الذي يهدف الى إلقاء الرعب بين الناس أو تعريض حياتهم وحرياتهم وأمنهم للخطر .

قرار مجلس الحكم ذو الرقم ٤٧ في ٢٢/ ٩/ ٢٠٠٣ إغلاق مكاتب قناة الجزيرة وقناة العربية الفضائيتين بما في ذلك عمل مراسليها في أنحاء العراق .

العنف في الدستور (تمنع كل أشكال العنف والتعسف في الأسرة والمدرسة والمجتمع)، وبذلك فان الدستور لم يمنع العنف فقط وإنما منع التعسف أيضاً وبعبارة أخرى فإن المادة (٣٨) من الدستور التي كفلت حرية التعبير والرأي والصحافة والطباعة والإعلان والإعلام والنشر والاجتماع والتظاهر السلمي محكوم بمبدأ عدم التحريض على العنف.

المبحث الثالث

الترميز التحريضي للعنف في وسائل الاعلام العراقية

مدخل تحليلي

تم اختيار عينات مختلفة من الصحف قيد الدراسة وبحسب المعايير الاستطلاعية للتأثير على الجمهور العراقي في متعلقات الشؤون العامة، ومنها (الموقف من أعمال العنف والإرهاب وزعزعة الأمن الداخلي). وتم إخضاع العينات[1] إلى التحليل على وفق المُسميات والمواقف والاتجاهات التي تدعو إلى العنف أو تذكره (دون إدانة) كان ذلك تحت معيار (محرض).

ومن خلال تحليل مضامين الصحف قيد الدراسة ظهر لنا أن هناك فئات قد تم التركيز عليها من خلال الصحف قيد الدراسة للمتعلقات العنفية والتي تم تعريفها إجرائياً بحسب قضية الدراسة بالآتي:

١ تمثلت عينات التحليل بأربع أساسية تمثلت بالفضائيات المحلية والعربية وعينة الراديو والصحف المركزية والمحلية وبحسب الملحق(رقم ١) بالإضافة الى بعض المواقع الالكترونية الإخبارية، وهذه تعد أول دراسة مراقبة للمواقع في إطار الشؤون العراقية العامة.

العنف الإعلامي: هو كل ما نشر في عينة الدراسة من أفكار والصور أو التأكيدات والأخبار التي تتناول موضوعاً يتعلق بما يصف العنف بأشكاله المختلفة من خلال التركيز أو حجم التحرير أو طريقته بالشكل الذي يخلق اتجاهاً سلبياً أو إيجابياً نحو الفكر أو السلوك العنفي أو ما يحرض عليه أو يُنبذه بطرق وأجناس القوالب الصحفية المعروفة. وبناء على تحليل موضوعات (فئات) التحليل للموضوعات التي تناولت أو أوحت أو حملت جانباً من ذلك فقد قسمت إلى خمسة أقسام وهي كالآتي:

المحور السياسي
المحور المدني
محور الحوادث
المحور الأمني
محور الدولة وقضايا
المحور الفكري

كما أن التحليل الأولي للدراسة قد شمل محاور وفئات عدة، لكن الباحث تم استبعادها كونها لا تشكل بُعداً عنفياً بقدر ما

تشكل موضوعاً خبرياً تلقائياً، أو يكون بعيداً عن الخانة العنفية للمضمون، وبناءً على ذلك التصنيف فقد حصلت محاور الأمن، والسياسة والدولة على أكبر قدر من التكرارات ونقاط التركيز من ناحية تعدد تكرارات الفئات، فيما تناقص ذلك في المحور المدني، والحوادث، مما يؤكد أن نقل الأخبار المتعلقة بالأمن والسياسة شكلت أكبر نسبة من ضخ وانسياب المعلومات العنفية في الصحف العراقية قيد الدراسة.

كما أن الدعوة أو نبذ أو تشجيع العنف يرتبط بخطوط متشابكة قد تحركها العاطفة أو الظرف العام أو الاتجاهات النائمة التي قد تقوم وسائل الإعلام بإيقاضها وإبرازها كإتجاه نشط يؤدي إلى عنف القول والرأي أو عنف السلوك أو الإحباط والكسل نتيجة ترويج بعض الصور والحالات العنفية، وبالمقابل فالحياد الصحفي أو الحبكة التحريرية المحترفة تؤدي إلى تخفيف التوتر، والإقلال من الاحتقان الذي قد يشكله الحدث أو الخبر، أو الظاهرة، وبالنظر لانفتاح الساحة العراقية على صنوف شتى من الاصطلاحات والأوصاف الخلافية، فإن مفهوم العنف

سيبقى مفتوحاً تحت مسميات وطرق عديدة يثير الرأي العام ويُكوّن اتجاهات أو سلوكيات غير مرغوبة، من حيث لا تدري أو تقصد الوسيلة الإعلامية.

جدول (١)

يبين توزيع المحاور والموضوعات التي تحمل او تثير مفاهيم عنفيه لدى القارئ

ت	السياسي	المدني	الحوادث	الأمني	الدولة	الفكري
١	المهجرين	العثور على جثث	تفجيرات	ضعف القوات الأمنية	انهيار البنى التحية	حقوق الإنسان
٢	انقسام سياسي	اغتيالات	شهداء	تسريب وصناعة أسلحة	ضبط وقوانين	موقف رجال الدين
٣	استجواب الوزراء	الأطفال والإرهاب	اختطاف	تقصير القوات الأمنية	دول الجوار	حجب الحقائق
٤	العفو العام	الاختناقات المرورية	محاولات اغتيال	اعتقالات عشوائية	تزوير وثائق	انتهاكات السجون
٥	قضية سوريا	شيوع البطالة	تهديد	تهديد المسلحين	الفساد الإداري	اختراق البعث
٦	تحالفات سياسية	التظاهرات	هروب سجناء	تدابير أمنية	هدر الثروات	المكونات الدينية والمذهبية
٧	تدخل الاحزاب المتنفذة	حملات	-	جاهزية القوات الأمنية	ضعف الاقتصاد	الطائفية السياسة

٨	تغيير الحكومة	استهداف الجوامع	–	الجماعات المسلحة	الصحوات	تهديد السلم الاهلي
٩	العلاقة مع الأكراد	استهداف المناسبات	–	ضبط أسلحة	البند السابع	–
١٠	المصالحة الوطنية	استهداف اماكن الشباب	–	مروحيات أسلحة	الإحالة الى القضاء	–
١١	خمول البرلمان	–	–	الاستقرار	النفط	–
١٢	خور عبد الله	–	–	حظر التجوال	سرقات مال عام	–
١٣		–	–	خطط أمنية	هروب مسوؤلين	–
				الجيش الحكومي		

أما بخصوص توزيع الاتجاهات من خلال المضمون الصحفي حول العنف لصحف العينة فقد كانت كالآتي:

نماذج من القوالب الصحفية التي تحرض على العنف وبحسب بعض الفئات:

ت	الصياغة	الجانب العنفي (دالة الاثارة)
١٢	في ظل صمت الحكومة تتفاقم مشكلات المهجرين في العراق في ظل التهديدات والأحوال السيئة التي يشهدها العراق .	صمت الحكومة التهديدات الأحوال السيئة
٣	تشهد الكتل السياسة انقساماً سياسياً حول التوصل إلى اتفاق بشأن قانون الانتخابات، ولا بوادر لحل قريب حول الأزمة.	انقسام سياسي لا بوادر لحل قريب
٤	على خلفية اخفاق الحكومة في تنفيذ وعودها وبحسب خطط وزارة التخطيط، يسعى بعض أعضاء البرلمان استجواب الوزارات المتلكئة والتي فشلت في انجاز وعودها.	اخفاق الحكومة الوزارات المتلكئة فشلت
٥	تداعيات القضية السورية واطراد التدخلات الدولية يجعل من الساحة العراقية ساحة مفتوحة لمتغيرات لا تحمد عقباها.	ساحة مفتوحة لا تحمد عقباها
٦	من جهتها ذكرت المصادر على أن الأحزاب المتنفذة هي من يعرقل اقرار قانون الانتخابات، بهدف المزيد من الاستحواذ على السلطة.	الأحزاب المتنفذه يعرقل قانون الانتخابات الاستحواذ على السلطة
٧	تراكم الأزمات وانفلات الوضع الأمني يجعل من الكتل تميل إلى إحداث تغيرات في الخارطة السياسية الكبرى للعراق، ومنها تغيير الحكومة، كأحد الخيارات .	تراكم الأزمات تغييرات في الخارطة تغيير الحكومة

٨	فشل الجهود التي تنادي بالمصالحة الوطنية، في ظل تجاهل الحكومة والقادة الأمنيين لموجة الاعتقالات التي تستهدف الأبرياء.	فشل الجهود تجاهل الحكومة موجة الاعتقالات تستهدف الابرياء
٩	عثور قوات الشرطة صباح اليوم على ٨ جثث مجهولة الهوية في أماكن متفرقة من بغداد، وقد صرح مصدر أمني رفض الكشف عن اسمه، أن موجة الاغتيالات قد تصاعدت في الآونة الآخيرة، مع تصاعد الاحتدام الطائفي .	٨ جثث موجه الاغتيالات تصاعد الاحتدام الطائفي
١٠	استهداف الجماعات المسلحة اليوم ٤ جوامع للشيعة في جنوب العراق، راح ضحيتها العشرات من القتلى والجرحى، وكانت الجماعات المسلحة قد صعدت من عملياتها بعد استهداف المدارس والأسواق إلى جوامع الشيعة .	٤ جوامع للشيعة عشرات القتلى والجرحى صعدت عملياتها استهدافا لمدارس والأسواق
١١	على خليفة انتهاء العمليات العسكرية في الأنبار فوجئ الجميع اليوم باختطاف ٤ أشخاص مقربين من شيوخ قبائل متنفذة في الأنبار، وتشير المصادر إلى أن الاستهداف جاء على خلفية صلاتهم بالحكومة .	اختطاف ٤ صلاتهم بالحكومة

١٢	عثر صباح هذا اليوم في مناطق مختلفة من بغداد على منشورات تحرض بعض المناطق على عدم ارسال أولادهم إلى المدارس، والاستمرار في مقاطعة الحكومة على خلفية عدم الاستجابة للمطالب العادلة .	منشورات عدم ارسال أولادهم مقاطعة الحكومة عدم الاستجابة للمطالب
١٣	كشف برنامج الساعة التاسعة والذي يبث عبر الفضائية البغدادية عن تورط قيادات ومسؤولين كبار في صفقة فساد تعود إلى الأعوام السابقة والتي تخص مجموعة صفقات تسليح وعتاد، وأجهزة فساد (أجهزة الكشف عن المتفجرات).	تورط قيادات ومسؤولين صفقة فساد فساد أجهزة الكشف
١٤	ان هروب السجناء إلى جهات مجهولة في مناطق بغداد والضواحي القريبة وهي لازالت تتخفى وتحاول التسلل إلى بعض الحواضن القريبة من العاصمة .	هروب الى جهات مجهولة الضواحي القريبة الحواضن القريبة من العاصمة .
١٥	وتأتي تلك التفجيرات العنيفة في ظل الفشل والإخفاق الأمني الذي تشهده مدن العراق، وقد صرح عضو اللجنة البرلمانية للأمن والدفاع أن الاستجواب قائم، بعد ان تأكدنا من ضعف القوات الأمنية، وعدم وجود استراتيجية تعمل بها.	التفجيرات العنيفة مدن العراق الاستجواب قائم ضعف عدم وجود استراتيجية .

مشكلات القنوات الساندة للحكومة والقوات الأمنية :

عدم وجود استراتيجية إعلامية للتدرج الإعلامي إزاء الأزمات.

الشخصنة في التغطية والبرامج الحوارية.

في مجال التصريحات سواءً في الأزمات أو في الجانب الأمني فالكل يصرح، ولكن هذا الظهور الإعلامي وتعدد مصادر الأخبار، غير مناسب ويربك العمل الأمني وآليات التلقي للمواطنين، ويجب أن يقتصر التصريح على المخوّل فقط من الجهات الأمنية أو الوزارات، والنواب أحياناً يدخلون على الخط، وهو ليس من واجبهم الإدلاء الإعلامي، بل المراقبة والتقويم.

التهويل والتركيز والتكرار.

عدم شمولية التغطية المكانية والفئوية.

البحث عن الزلل والتصريحات لبعض الكتل والشخصيات

وادماجها مع الأزمات.

عدم وجود تقويم أو تحليل بمديات التأثير للقنوات الساندة.

صناعة برامج من قبيل الدعم الأمني أو التنموي، لكنها في علم الدعاية والتأثير غير مجدية وأحياناً تصل إلى حد الضرر العكسي

عدم الإفادة من التصريحات الدولية، والبرامج الأجنبية في دعم قضايا العراق وأزماته.

لا توجد لتلك القنوات أرضية، وإن كانت بسيطة لمخاطبة الرأي العام العربي والدولي.

من المفضل لشبكة الإعلام العراقية أن تنشئ قناة عراقية باللغة الانكليزية لمخاطبة الرأي العام الدولي، بدلاً من إنشاء قناة ٢ والوثائقية التي لم تقدم شيئاً جديداً لاستنهاض جيل الشباب والأطفال.

توجد برامج ذات صبغة سياسية تستميل المشاهد العراقي

وتعمل رويداً رويداً على تغييره، من خلال تعدد وجوه مقدمي البرامج والمذيعين.

النواب والسياسيون، ومن خلال كثرة وتعدد الظهور التلفازي، أصبحوا يكررون ذات الجمل والأحكام والمعلومات بالشكل الذي أضعف بعض القنوات وشخصياتهم السياسية والتأثيرية.

لا توجد بوادر واضحة للخروج من الأفكار السائدة في البرامج السياسية أو الحوارية، والعمل على استمالة المتلقي بالتجديد، وكأن الأمر محكوماً فقط بالضح المعلوماتي والأداء.

القنوات الفضائية سفيرة بلد، ولا يمكن على حساب الحزب أو الكتلة أن تكرر أو تركز على جوانب أصبح المتلقي العراقي يهرب منها، لوضوح طائفيتها وتحزبها وسوء مضمونها وسطحيته.

التحريض أو عدم الحيادية واضحة وملاصقة للمضمون والطريقة البرامجية في الأخبار والتقارير والبرامج، بالشكل الذي

تعمل الفضائيات بتقسيم فئات المجتمع العراقي بحسب الاثارة المناطقية والمذهبية.

هيئة الإعلام والإتصال لم تمارس دورها الأساس في رفد الإعلام العراقي بخبرات وتنمية، ولم تنظم العمل بحسب النظام الداخلي، ولم تعمل بشكل علمي على مقارعة وفضح القنوات ووسائل الإعلام الأخرى بالعمل التحريضي وتصدير العنف اليومي الذي يمطر العراقيين في ظل الأزمات والعُقد والمشكلات الوطنية.

يحتاج العراق إلى هيئة عليا لإدارة الإعلام تسمى (الهيئة الوطنية لشؤون الإعلام) تتولى تصحيح الفوضى والأخطاء من ضمنها العمل التحريضي والانسياق إلى رد الفعل، والكف عن اللعب في الفضاء على أنه مكسب ديمقراطي دون ضوابط أو أخلاق أو علم .

توصيات الدراسة

على الجهات الأمنية أن تعمل على تغيير مفاصل الاهتمام من الاقتصار على البُعد (التوقعي) انتظار الخلايا الارهابية إلى ميدان المعالجة الاستباقية بالضخ الاعلامي والنفسي والميداني .

استهداف حواضن الارهاب والمناطق الساخنة بآليات الدعاية واستخدام الاشاعة والقنوات الصوتية والمرئية والمطبوعة المحترمة.

على الجهات الأمنية إعادة النظر في طريقة عرض اتصالها بالرأي العام من خلال (الناطق الرسمي) والذي لم يعد بحسب التأثيرات وردود الأفعال ناجحاً ونافعاً في إدارة ملف نقل الحقائق إلى المواطنين.

إنشاء جهاز علاقات عامة واسع النطاق يعمل على مفصلين: الأول يتعلق بتعزيز العلاقة مع المواطنين وإعادة بناء الصورة الذهنية لجهاز الأمن، بعدما قدم ويقدم المواطن العراقي يومياً التضحيات في الدماء والوقت وعدم الاستقرار. والآخر يعمل

على انتاج حزم معلومات علمية تعزز دور القوات الأمنية، وتضعف أعدائها، وتعمل على تقريب الجانب المدني والرأي العام.

رصد الاشاعات التي تنطلق في المناطق النشطة جغرافياً وتحليلها وإعادة مضمونها.

تفعيل قوانين التحريض والعنف الاعلامي التي تزخر بها الأدبيات القانونية العراقية وتطبيقها بشكل ميداني محترف.

على هيئة الإعلام والاتصالات أن تعمل على إصدار تقرير رصد شهري ينشر عبر وسائل الإعلام العراقية والمواقع لبيان القنوات والوسائل التي يرتفع بها التحريض.

على وزارتي الداخلية والدفاع أن تنشط الجانب البحثي النفسي والاجتماعي والإعلامي في علم التأثير وغسيل الدماغ وإنتاج الأبحاث والرؤى والمؤتمرات التي تحد من العنف والتحريض الذي يتسع في ظل عدم وجود مواجهة أو ضابط اعلامي يعينها على ذلك.

أن تتولى القوات الأمنية بأشكالها إنشاء قنوات اعلامية ساندة تعينها في حربها النفسية وجهودها الدعائية في تحجيم الإرهاب وكشفه ومكافحته.

العمل على تكثيف التعاضد والتساند بين الأجهزة الأمنية ورجال الإعلام والصحافة بما يخدم مكافحة الإرهاب، وأن تعمل القوات الأمنية على تصوير وإدارة ملفها في المواجهات بمرافقة الإعلاميين كما تعمل ذلك التجارب الدولية، لتأثيرها النفسي والإعلامي على الرأي العام.

اشراك القطاع الأكاديمي والجامعي في إيجاد سبل دائمة وعاجلة للمواجهة والإعانة في جوانب ورش العمل والأبحاث واستطلاعات الرأي وصناعة الدعاية والمنشور (الدعائي).

تحليل خطاب القاعدة على وفق علمي وتحليل بنيته النفسية والاجتماعية والدينية، وإطلاقه بالتحليل إلى الجمهور.

رعاية المناطق الساخنة والحواضن المحتملة رعاية علمية، لتقليل وتحجيم التأثيرات المحتملة للتمدد، وبناء علاقات

افتراضية نامية مع السكان المحليين.

المعالجة الإستراتيجية لحالة الفقر والمناهج الدراسية، والإدماج الاجتماعي الذي يمكن أن يعزز روح المواطنة والإحساس بوحدة العدو والمصير.

العمل على الضخ الإعلامي لنشاط القوات الأمنية وتقرير الحوادث من خلال المؤتمرات الصحفية ومواجهة الجمهور والإعلاميين بشكل دوري ومنتظم ومباشر والتعليل لما يحدث من انتصارات أو خروقات بشكل شفاف وموضوعي.

اهم المراجع والمصادر

١. د. حميدة سميسم: الحرب النفسية (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٤)

٢. جورج رو: العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين (بغداد وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٤)

٣. د. محمد عبد الحميد: نظريات الاعلام واتجاهات التغيير (القاهرة: عالم الكتب ،١٩٩٧)

٤. د. صالح ابو أصبع: الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة (عمان: دار ادم للدراسات، ١٩٥٩)

٥. كامل القيم: بناء الاتصال ومشكلات التعرض الاتصالي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية، الآداب، قسم الاعلام ٢٠٠٠.

٦. ٦- ادونيس العكرة: الارهاب السياسي: بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الانسانية، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٣)

٧. ٧- د. فرحان البيضاني: العنف الجمعي وعلاقته بالتعصب والتسهيل الاجتماعي (بغداد: المركز العراقي للمعلومات والدراسات،٢٠٠٩)

٨. د. ازهار صبيح غنتاب: اعنف في الصحافة العربية الدولية (عمان :دار اسامة للنشر ،٢٠١١)

٩. Robert picard , Media portrayals of Terrorism :functions and Meaning of News Coverage (Iowa :Iowa university press ,1994، lbid

١٠. Niel . C.Livingstone، The War Terrorisom، (Lexington : Lexington Book ١٩٨٢،

١١. لرميحي: نهاية عصر الاعلام الرسمي العربي : استرجع بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ٢٠١٣ من موقع : www. alarabiya.net

١٢. مؤتمر الاعلاميات العربيات (خطوة باتجاه الحقيقة إلى اللاعنف) صحيفة تشرين الالكترونية

١٣. www.tishreen.news.sy

١٤. د. كامل القيم واخرون: موقف وسائل الاعلام تجاه ظاهرة العنف (مركز المرأة لمراقبة وسائل الإعلام) بابل: الدار العربية للنشر ، ٢٠٠٩.

المحتويات

المبحث الأول

الأسُس التاريخية والنفسية لصناعة العنف..... ١١

المبحث الثاني

مفهوم التحريض الإعلامي والعمل الدعائي ٣١

التحريض والبُعد النفسي ٤٥

اشكال التحريض : ٤٩

أولاً: التحريض المباشر (Direct incitement) ٥٠

ثانياً: التحريض غير المباشر (Indirect incitement): ٥١

أدوات التحريض الأساسية (**Incitement Basic Tools**): ٥٢

مقومات وبيئة التحريض في خطاب الإعلام العراقي: ٥٣

المبحث الثالث

الترميز التحريضي للعنف في وسائل الاعلام العراقية ٦٧

مدخل تحليلي ٦٧

توصيات الدراسة ٨٢

اهم المراجع والمصادر ٨٦